التعليم الإسلاميّ في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسيّ وبعده الحضاري لثورة نوفمبر

د. محمد خالد اسطنبولي
جامعة أدرار

مقدمة:

إنَّ عمر الأمَّة ليقاس بمقاييس شتّى منها قيمة التعليم في هذه الأمَّة وأهميته.

لقد عاشت الأمَّة الإسلاميّة دهراً من الزمن تتمتع بالتعليم الإسلاميّ الذي جعلها تفتح أصقاع الأرض من المحيط إلى المحيط، هذا التعليم هدفه: "تنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرّها لخدمة العقيدة وقف منهجه".

فأهمّ ثغر يتسلّل وينفذ منه المستعمر لدى دخوله بلد ما هو التعليم الذي يمثّل قيمة تلك الأمَّة وهذا ما حصل بالفعل في الجزائر عند دخول الفرنسيّين معلنين الحرب على كلّ ما هو عربيّ مسلم؛ لذلك عنيت هذه المداخلة بمناقشة المباحث التاليَّة:

- واقع التعليم الإسلاميّ قبل الاحتلال الفرنسيّ والمراحل التي مرّ بها في ظلّ الاحتلال الفرنسيّ للجزائر.
- أساليب المستعمر في القضاء على التعليم الإسلاميّ.
- دور التعليم الإسلاميّ في تحرير الجزائر.

وأهداف هذه الدراسة هي:

أولاً: تنميَّة الولاء للدين الإسلاميّ من خلال دراسة مدى مساهمة التعليم الإسلاميّ في بناء الجزائر المسلمة الحرّة.

ثانيا: إبراز المحاولات التي بذلها الاستعمار الفرنسيّ لطمس الشخصيَّة الجزائريّة المسلمة.

ثالثا: إبراز المحاولات الإصلاحيَّة وحركات المقاومة في إرساء قواعد التعليم الإسلاميّ.

رابعا: إظهار دور التعليم الإسلاميّ في تحرير الجزائر.

المبحث الأول

واقع التعليم الإسلاميّ قبل الاحتلال الفرنسيّ

نبذة تاريخيَّة عن الحالة السياسيَّة في الثلث الأول من القرن التاسع العشر:

ينتمي أهالي الجزائر أصالة إلى ثقافة عتيقة ذات صلة مباشرة بالثقافات الشرقيَّة، ثمَّ جاء الاحتلال الرومانيّ.

لم يكن للرومان إلاَّ تأثير سطحيّ لأنَّه لم يتغلغل إلى أعماق البلاد... بل لم يتجاوز بعض المقاطعات الشماليَّة فلم يترك حينئذ في الجنوب الجزائريّ أثراً ثقافيًّا يستحقّ الذكر رغم الستة قرون التي قضاها في الجزائر[1].

---

[1]- الجزائر الثائرة الفضيل الورتلاني ص 344 منشورات عباد الرحمن 1956 بيروت.

وبعد الاحتلال الرومانيّ جاءت إلى البلاد جماعات قليلة من الجزيرة العربيَّة فانتشروا في نواحي كبيرة من البلاد تلقاهم الأهالي بالترحاب وقد بهرهم ما جاءوا به من الهدايَة المحمديَّة فاعتنقوها وتبنّوها وتجنّدوا لنصرتها حتَّى أنّهم ساهموا في تبليغها إلى المغرب ثمَّ إلى الأندلس غرب أوربا وجزء كبير من فرنسا. وهكذا عاشت الجزائر مسلمة هانئة إلى أنَّ وجدوا أنفسهم عرضة للهجمات الإسبانيَّة، فاستنجدت الجزائر بالدولة العثمانيَّة[2].

التعليم الإسلاميّ في الثلث الأوّل من القرن التاسع العشر:

لقد لاحظ جميع المؤرخين العرب والغربيّين منهم أنّ التعليم كان منتشراً في كل أنحاء البلاد، ومن الملاحظ أنّه ليس هناك تعليم آخر في ذلك العهد إلاَّ التعليم الإسلاميّ الذي كان يشمل حتَّى القرى والأرياف فكان الكثير من أبناء الجزائر يحسنون القراءة والكتابة ولنا في ذلك شهادة الغربيّين أنفسهم منهم الجنرال "فالري" كتب يقول عام 1834م أنَّ كلّ العرب (الجزائريّين) تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان في كل قريَّة[3].

---

[2] ـ الجزائر، مجموعة محاضرات بمعهد الدراسات الإسلاميّة 1962م–1964م مقال الشيخ أبو زهرة ص5.

[3] ـ أبو القاسم سعد الله ـالحركة الوطنيَّة الجزائريّة (64/2).

مؤسسات التعليم قبل الاحتلال

المساجد: للمسجد في الإسلام مفهوم شامل متكامل فهو لا ينحصر في كونه مكاناً للعبادة بل هو مدرسة من مدارس العلوم الشرعيَّة من قرآن إلى تفسير وتجويد وحديث وللمسجد مهام أخرى منها مهمّة المنتدى الاجتماعيّ ففيه تقام احتفالات عقود الزواج ومآتم العزاء وشتّى المناسبات الدينيَّة.

لقد كانت عنايَة الجزائريّين بالمساجد كبيرة جدًّا من حيث الهندسة المعماريَّة والزخرفة الجميلة، وتشير الإحصائيات إلى أنَّ عدد المساجد بالجزائر العاصمة مائة مسجد ينافس بعضها بعضا في الروعة والجمال البديع ومن أهم هذه المساجد مسجد "علي بتشم" الذي أصبح في عهد الفرنسيّين "كنيسة النصر"، ومسجد "كتشاوة " الذي أصبح غداة الاحتلال الفرنسيّ "كنيسة الجزائر"، ومسجد الخوجة[4].

أمّا مجمل الإحصائيات عن المساجد بمدينة قسنطينة فقد وردت لدى الشيخ أحمد توفيق المدني بخمسة وثلاثين مسجداً تستخدم كمراكز للتعليم الإسلاميّ تقصدها الجماهير الغفيرة من قسنطينة وضواحيها[5].

---

[4] ـــ مجاهد مسعود- الجزائر عبر الأجيال ص 57.

[5] ـــ المدني أحمد توفيق- كتاب الجزائر ط2 1963م – الجزائر ص 284.

الكتاتيب:

هو عبارة عن مدرسة قرآنيَّة يقال لها باللهجة العاميَّة (مسيد) يلتحق بها الصبيان ويشرف عليها ما يسمى "بالمؤدِّب" الذي يختاره شيخ القبيلة وهو يعيش من مساهمات التلاميذ.

وتشير المصادر إلى وجود عدد 3000 كتّاباً قبل الاحتلال الفرنسيّ. منهم في مدينة قسنطينة حوالي 79 كتّاباً سنة 1837 يلتحق بها 1350 تلميذ وفي نفس السنة كان في مدينة تلمسان 50 كتّاباً حيث كان عد سكانها في حدود (15000 نسمة)[6].

الزوايا:

تعرف الزاويَة بمجموعة من الأبنيَّة المعدة للتدريس الابتدائيّ وحفظ القرآن ولسكنى الطلبة وفيها قسم لنزول المسافرين كما نجد فيها مسجداً لإقامة الصلاة والوعظ وتشمل كذلك التدريس الثانويّ والعاليّ وقد سميّت بهذا الاسم إمَّا لانزوائها بعيداً عن المدن وإمَّا لأنَّها في زاوية من المدينة[7].

لكلّ طريقة من الطرق الصوفيَّة أثناء الوجود العثمانيّ بالجزائر زاوية كبرى رئيسيَّة تشرف على عدد كبير من الفروع الصغيرة من الزوايا بمدن

6ـ نفس المرجع ص 139.

7 ـ تركي رابح–الشيخ ابن باديس 1969م –الشركة الوطنيَّة للنشر والتوزيع الجزائر–ص 124.

وقرى الجزائر وقد تعرّض الكثير منها إلى الزوال بعد احتلال فرنسا للجزائر.

و تشير كثير من المراجع أنّ الجزائر العاصمة كانت تضم 36 قبّة وزاوية وكان أكبر عدد الزوايا بالوادي أمّا مدينة قسنطينة فعدد الزوايا فيها 16 زاوية وفي تلمسان 40 زاوية وكانت هذه الزوايا تدرس فيها العلوم والمعارف وتقوم بمهمّتين لتعليم أبناء النشء وتربيتهم تربيّة إسلاميّة[8].

المدارس:

لقد كانت مدينة الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان أهمّ المراكز للتعليم الإسلاميّ بل وصل التعليم إلى أقصى المناطق النائيّة.

و قد سجّل الجنرال "هوتبول" شهادته في مذكرة بعث بها سنة 1850م إلى رئيس فرنسا في ذلك الوقت يقول "كانت الثقافة الإسلاميّة قبل الاحتلال الفرنسيّ واسعة الانتشار وكان يوجد بالجزائر جامعات أهمّها جامعة قسنطينة وجامعة الجزائر العاصمة وجامعة مزونة وبسكرة وكانت

---

[8] ـــ الجزائر وزارة الثقافة "الثقافة" د.عمار هلال عدد 82 ص 198، الجيلالي عبدالرحمان – تاريخ الجزائر العام (536/3).

هذه الجامعات في مستوى جامعة القاهرة وجامعة تونس وجامعة فاس وكانت تضم آلاف الطلبة المسلمين[9].

و يقول سعد زغلول في كتابه "كان بالجزائر في يوليو 1830م ثلاثمائة مدرسة وأربع جامعات دراسيَّة في كلّ من الجزائر العاصمة وقسنطينة ومازونة وتلمسان وكانت هذه معاهد تضم 180 ألف طالب من مجموع الشعب البالغ وقتئذ ثلاث ملايين ونصف نسمة[10].

مراحل التعليم:

هناك ثلاث مراحل تعليميَّة في العهد العثمانيّ ابتدائي وثانوي وعالي ويؤكّد هذا الشيخ التوفيق المدني أنَّ العليم كان يشمل قديما على ثلاثة مراتب أولى وتعطى في الكتاتيب ويقبل عليها الناس إقبالاً شديداً، وكان التعليم يشمل القراءة والكتابة والقرآن الكريم أمَّا التعليم الثانوي والعالي فكان بالمساجد والزوايا يتولاه شيوخ[11].

ومن الغربيّين يقول الجنرال "هوتبول " التعليم الثانوي ويشمل الأحداث بين العاشرة والخامسة عشر والتعليم العالي والشباب ويشمل

---

[9] ـــ العسلي بسام –الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر– دار النفائس ط 1، 1982م بيروت ص 42.

[10] ـــ سعد زغلول فؤاد الجزائر في حركة التحرير – الجزائر 1956 ص 28.

[11] ـــ المدني أحمد توفيق –كتاب الجزائر ص 283.

الفقه والحقوق والرياضيات وعلم الفلك والجغرافيا والتاريخ والطب وكان التعليم الثانوي والعالي مجانا كالتعليم الابتدائي[12].

تمويل التـــعليم:

الأحباس والأوقاف: هذا المورد الأساسيّ للتعليم فكانت أحباس الجزائر العثمانيَّة تقدّر قبل الاحتلال بأربعين مليون فرنك فرنسيّ وقد كان للجزائر العاصمة نصيب يقدّر بسبعة ملايين ينفق ربعها على 150 مسجداً وكذلك ممّا أشارت إليه الإحصائيات أنَّ الجزائر العاصمة كانت تحتوي 8 ألاف عقار تابع للأوقاف[13].

خلاصة المبحث:

هكذا كان أهالي الجزائر، قبل الاحتلال الفرنسيّ، جميعهم مسلمين يتمتّعون بحقوقهم الكاملة! ومما يلاحظ أنَّ التعليم الذي كان سائدا في ذلك العهد هو التعليم الإسلاميّ. فقد كان يقوم أساساً على الدراسات

---

12 ـــ العسلي بسام المرجع السابق ص 41.

13 ـــ طحان مصطفى- القيادة في العمل الإسلاميّ (338/3) دار الوثائق الكويت 1985. الأصالة وزارة التعليم الأصلي رجب 1973م ص 40.

الدينيَّة واللغويَّة والأدبيَّة وقليل منها علميَّة وأهم ما يستخلص من هذه الفترة – قبل الاحتلال الفرنسيّ– بالنسبة لميدان "التربيَّة والتعليم" أنَّه كان يستهدف العمل على غرس العقيدة الإسلاميّة ونشرها بين أبناء البلد وتربيَّة النشء على القيم والمثل العليا وإكسابه قدراً من المعارف المختلفة من أجل مجتمع متكامل من الناحيَّة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة ونسبة الأميَّة قليلة بين أفراد هذا المجتمع، فالمؤسسات التعليميَّة مفتوحة لاستقبال أبناء الوطن بدون تميز يذكر، كلّ حسب متطلباته سواء أكان بالمدارس أو المساجد أو الكتاتيب أو الزوايا، كلّ منها ركن من أركان العلم والمعرفة يتولاَّها كبار الشيوخ ذووا العلم الواسع والفضيلة.

فقد امتازت هذه الفترة بالنسبة للتعليم الإسلاميّ بطابع الهدوء والاطمئنان وانتشار العلم رغم انعدام الوسائل التربويَّة – التعليميَّة في ذلك العهد.

والتعليم تموله الأوقاف وجملة التبرعات من الحكام العثمانيين وبعض الأثرياء من أبناء الوطن.

المبحث الثاني

التعليم الإسلاميّ في نهايَة القرن التاسع عشر

هناك ثلاثة مراحل مرّ بها التعليم الإسلاميّ بالجزائر في هذه الفترة:

المرحلة الأولى: تبدأ بدخول الفرنسيّين إلى الجزائر من 1830م إلى1834م أي غداة الاحتلال.

المرحلة الثانيَّة: من 1834م إلى 1848م الموافقة لعهد الأمير عبد القادر الجزائريّ إلى ما بعد هجرته.

المرحلة الثالثة: من 1852 إلى نهايَة القرن التاسع عشر وهذه الفترة تمثّل عهد نابليون3 والحركة التبشيريَّة المسيحيَّة التي ازدهرت في عهده.

المرحلة الأولى: غداة الاحتلال من 1830م إلى 1834م

لقد كان موقف الاستعمار من التعليم الإسلاميّ غداة الاحتلال موقف عداء صريح يؤكّده قرار قائد جيوش الحملة الفرنسيّة الجنرال "كلوزيل" الذي استولى بمقتضاه على جلّ الأوقاف الإسلاميّة واليك خلاصة القرار:

القرار الأول: " سبتمبر 1830: يأمر بوضع أملاك الدولة والأحباس الخاصّة بمكة والمدينة تحت نفوز الدومان "domaine" (إشارة إلى الأملاك العموميَّة الفرنسيّة)"

القرار الثاني: " ديسمبر 1830: المادة 01: استحواز الدولة المحتلة على جميع الأملاك التي كانت مدخولاتها مخصّصة للمساجد أو لمكّة المكرمة والمدينة المنوّرة.

المادة 02: مطالبة الأفراد العاملين في الأحباس التصريح بأسمائهم وبالمدخولات التي يقبضونها لدى المدير العام لإدارة الأملاك العموميَّة الفرنسيّة.

المادة 04: تأمر جميع رجال الدين ورجال التربيَّة والتعليم بوضع مراسيم عقود الملكيَّة والدفاتر والوثائق الخاصّة بالأحباس أمام مدير أملاك الدولة.

المادة 05: تعلن أنَّ كلّ شخص يخبر الحكومة بوجود أوقاف لم يتمّ الإعلان عنها يكون له الحق في نصف مبلغ الغرامة التي يعاقب بها المخالف[14].

كان هذا هو البلاء الذي أصاب التعليم الإسلاميّ غداة الاحتلال وبعده أصدرت الإدارة الفرنسيّة الجزائريّة أوامر بمنع فتح مدارس جديدة لتعليم الإسلاميّ وتمّ غلق حوالي ألف مدرسة (ابتدائيَّة ثانويَّة، عاليا) عدد تلاميذها حوالي مائة وخمسون ألف تلميذ واحتلوا 62 مسجداً[15]، وقد سمحت بفتح كتاتيب في نطاق ضيق جداً وهذا "دكورت" الفرنسيّ المعمّر يقول للملإ: "فلنعرقل تطوّر المدارس الإسلاميّة والزوايا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ولنعمل على تثبيط الأهالي معنوياً ومادياً[16].

---

[14] ـــ الجزائر –وزارة الأوقاف.القبس عدد6 مقال الزبير سيف الإسلام ماي 1969 ص 97، 98.

[15] ـــ الأصالة عدد 14- 15 مقال أبو القاسم سعد الله ص 27.

[16] ـــ مرسي محمد منير –التعليم في البلاد العربيَّة 1974م القاهرة ص 6.

المرحلة الثانيّة من 1834م إلى 1848م: الموافقة لعهد الأمير عبد القادر الجزائريّ:

أسرعت فرنسا شعباً وحكومة تهتف بانتصارها على الجزائر وبعهد انهيار الدين الإسلاميّ وانتصار الفتح الصليبيّ وهذا ما صرّح به سكرتير الجنرال "بيجو" وهو "ويتسي" قائلا: "آخر أيّام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح ونحن إذا أمكننا الشكّ في أنّ هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكن لنا أنّ نشك بحال في أنّها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد"، كما أدلى "جانتي دو بيسي" بقوله: إنّنا أخذنا الجزائر وسنعمل فيها كل ما يحلو لنا سواء من ناحيّة الهدم أو غيره[17].

لقد رافق الاحتلال الفرنسيّ انتشار الخوف والرعب بين أبناء البلد فتشرّد العدد الكبير منهم ولاذوا بالفرار إلى المناطق الجبليّة والقرى المعزولة فما كان حينئذ على كبار القوم ورؤساء العرب إلاّ أنّ يجتمعوا لدراسة وضعهم هذا بمسجد مدينة بسكرة سنة 1834 حيث تمّت مبايعة الشاب

---

[17] ـ خرفي صالح، صفحات من الجزائر – دراسات ومقالات 1972 الجزائر ص 315.

عبد القادر بن محي الدين بالإمارة تحت الشجرة إحياء لسنة رسول الله ﷺ على أن يؤسّس فيهم دولة إسلاميَّة عربيَّة[18].

ولم يكن جهاد الأمير حينئذ يقتصر على السيف وحده إنَّما كان كما قال هو عن نفسه:

فإن شئت علما تلقني خير عالم وفي الروع أخباري غدت توهن القوي

فالمعركة كانت بالسيف والقلم معاً، فقد كانت تربيَة الأمير رحمه الله إسلاميَّة وهي تبدأ بأصحابه فقد خصّص لهم رتباً في الجيش كلّ رتبة تحمل آيات قرآنيَّة وشعارات إسلاميَّة[19].

وكان الأمير يرى أنَّه من واجبه نحو الدين الإسلاميّ دعم علومه فقد حدّثنا عن نفسه قائلاً: فتحت المدارس في المدن وبين القبائل وكانت الأطفال في هذه المدارس يتعلّمون بدون مقابل، العبادات والصلاة وحفظ القرآن ومعرفة القراءة والكتابة والحساب بصورة جيّدة وكان الذين يريدون مواصلة تعليمهم بعد ذلك يرسلون إلى الزوايا والمساجد لتعليم

---

[18] ـــ د.سعد الله أبو القاسم أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر 1978م ص 73.

[19] ـــ بوعزيز يحي – الأمير عبد القادر 1964م دار الكتاب الجزائريّ ص143.

التاريخ وعلوم الدين وخصّصت للطلبة رواتب على حسب معارفهم ودرجاتهم وظهر لي أنّ العلم هام جدا فعملت على تشجيعه[20].

المرحلة الثالثة: التعليم الإسلاميّ من 1852 – 1870. الموافق نابليون

يختلف نابليون عن غيره عمّن سبقه من الحكام، إنه على ما يبدو يتمتّع ببعد النظر، فكانت أوّل خطوة اتخذها هو استمالة المسلمين بالجزائر ومحاولة لفت أنظار الدول الإسلاميّة في حوله، وقد شرع نابليون الثالث بتهدئة الوضع الذي ازداد اضطرابا وفوضى بعد هجرة الأمير عبد القادر وتعهّد لأهالي المسلمين بأن يجعل حياتهم في أمن تامّ وأن يرجع لهم بعض حقوقهم.

وقد عبّر عن نفسه نابليون قائلاً: إنّني لست إمبراطور الفرنسيّين فقط بل أنا إمبراطور العرب أيضاً.

وقال في مناسبة أخرى أنّ الجزائر ليست مستعمرة بأتمّ معنى الكلمة بل هي مملكة عربيَّة وإنّ الأهالي يجب أن يلقوا منّا كلّ مساواة ونفس الحمايَة التي يلقاها المعمّرون[21].

---

[20] ـــ العسلي بسام – الأمير عبد القادر 1980م دار النفائس بيروت ص 89.

[21] ـــ المدني أحمد توفيق –كتاب الجزائر ص 61.

هكذا كان قرار الجمهوريَّة الثالثة أنَّ الجزائر جزء لا ينفصل عن فرنسا فهي تقرّ الإدماج كليًّا بالمستعمر لغة ودينا وعادات وتقاليد، وقد اتخذت الحكومة الجديدة الشروع في إحياء نص القرار الصادر في 1850م وهو مشروع خاص بالتعليم الإسلاميّ ونصه: يقرر مجلس الوزراء ما يلي:

الفصل الأول: التعليم الابتدائي والثانوي

المادة (01): إنَّ التعليم الابتدائي والثانوي الذي يعطى في المدارس الإسلاميّة قد وضع تحت رقابة الوالي الذي يشرف عليها.

الفصل الثاني: المدارس العليا

المادة (03): قد أنشئت مدارس على نفقة الدولة في كلّ واحدة في مدن المديَّة وتلمسان وقسنطينة من أجل تكوين الإطارات الدينيَّة والعدليَّة والتربيَّة العامة للأهالي.

المادة (06): مديرو وأساتذة المدارس العليا الإسلاميّة يقع تعيينهم في طرف وزير الحرب باقتراح من الوالي العام...وزير الحرب مكلف بتنفيذ هذا القرار[22].

الصليب والقوّة ضدَّ التعليم الإسلاميّ:

فعلا لقد استصعب الأمر على الفرنسيّين فاتجهت فرنسا حينئذ إلى التنصير فاتّخذته سنداً لها بل سلاحا للقضاء على العقيدة الإسلاميّة وقد

---

[22] ـ القبس عدد 7 ص (102 – 105).

صرّح بذلك دوكورسيل سنة 1841 في تقرير له إلى وزير التربيَّة والتعليم جاء فيه: "لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسيَّة إلاَّ إذا أصبحت مسيحيَّة"[23].

ينحصر العمل التنصيري في ثلاثة أقسام:

التنصير بين الجماعات: هذا القسم اختار ميادين عمله داخل المؤسسات التعليميَّة والمراكز الصحيَّة وأمام النداوات واللقاءات الدينيَّة العامّة.

التنصير الفردي: يتطلب تكوين علاقات خاصة.

العمل المطبعي: وهو العمل الخاص بالفئة المثقفة فقط.

خلاصة المبحث:

من أهمّ ما يستخلص من المبحث السابق هو أنَّ التعليم الإسلاميّ في نهايَة القرن التاسع عشر مرّ بمراحل عدّة في الفترة ما بين 1830م و1870م والمرحلة الأولى التي مرّ بها التعليم الإسلاميّ، غداة الاحتلال هي مرحلة تمّت فيها السيطرة على الأوقاف الإسلاميّة التي كانت مصدر تمويل رئيسيّ للتعليم حيث تمّ تجريد المواطنين المسلمين من أملاكهم والتدخل في معظم المؤسسات التعليميَّة. وهذه الصورة إنَّما هي لون من ألوان القهر والاضطهاد للأهالي المغلوبين على أمرهم، أن يتخلوا عن أملاكهم

---

23 ـــ الثقافة عدد 68 مقال خديجة بقطاس ص 49 وزارة الثقافة الجزائر.

ويستسلموا لفرنسا الطاغيَّة، فكانت كذلك بمثابة الخطة المدبَّرة تهدف إلى محاربة التعليم الإسلاميّ من خلال المناهج الدراسيَّة التي أصبحت، بعد دخول الاستعمار الفرنسيّ، مجرّدة من المفاهيم الإسلاميّة عقيمة لا هدف منها سوى إبعاد أبناء هذه الأمَّة عن كل ما يربطهم بهذه الجزائر العربيَّة الإسلاميّة ومن ثمَّ تقليص ظل اللغة العربيَّة بغيَة إخلاء مكانها للغة المعمر!

أما المرحلة الثانيَّة: فهي الموافقة لتاريخ 1834م – 1848م مع ظهور الأمير عبد القادر الجزائريّ في وجه الغزاة، فقد اصطدمت القوات الفرنسيّة بحركة الأمير الباسل الذي وقف متحدّيا المحتلين من وجهتين وهما الوجه العسكري من جهة ومن جهة أخرى وجه المربّي المصلح ناشر العلم والمعرفة.

لقد صادفت هذه الحركة موجة عنيفة مضادّة، من الانتقام والعنصريَّة لدى المعمّرين الفرنسيّين فحاربوه أشد الحرب، أحرقوا مكتبته واستولوا على المجلدات الثمينة. فكانت مرحلة ازدهار وحياة بالنسبة للتعليم الإسلاميّ. فقد عادت بالخير على أهالي البلاد، إذ تبنّتهم بالتربيَّة الإسلاميّة الصحيحة، فكوّنت فيهم العقيدة السليمة وأنقذتهم من الجهل ومخاطره، وأهم ما يقال عن الأمير عبد القادر أنَّه تنبه إلى أنَّ المقاومة العسكريَّة لا معنى لها دون التسلح بالتربيَّة والتعليم الإسلاميّ.

وقد توافق المرحلة الثالثة التي مرّ بها التعليم الإسلاميّ بتاريخ 1848م – 1870م وهي فترة استسلام الأمير عبد القادر إلى القوّات الاستعماريَّة بعد أن تمكّنت هذه الأخيرة من تشتيت شمله عن طريق الإغراء من جهة وخلق الفوضى والبلبلة من جهة ثانيَّة، كانت فترة انهزام ممّا لاشكّ فيه حيث انتشر الرعب والفشل بين الأهالي فهاجر الكثير من العلماء وطلبة العلم نحو المشرق العربي، فنتج عن ذلك النقص في الإطارات وضعف المستوى التعليميّ وارتفاع نسبة الأميَّة.

وقد أخذت الأمور تتغيّر مع حلول سنة 1852م مع ظهور الجمهوريَّة الفرنسيّة بقيادة نابليون الثالث.

ومن أهمّ ما يقال عن سياسة نابليون الثالث نحو التعليم الإسلاميّ أنَّ أهدافها ثابتة رغم التغيّر في الأساليب العدوانيَّة وتعددها.

بعد أن فشلت الأساليب الاستعماريَّة من القهر والعنف رأت حكومة نابليون الثالث ضرورة تجريب خطة جديدة وأساليب أخرى في صورة اللين والملاطفة مع الشعب الجزائريّ المظلوم، ومن أبرز أعمال نابليون الثالث أنَّه عمل على تهدئة الأوضاع وبث في الشعب الجزائريّ الثقة بفرنسا المحتلة والتفاؤل تحت رايتها، فما كان على نابليون إلاَّ أن يعلن أنَّه إمبراطور العرب كذلك وأنَّ الجزائر ليست مستعمرة إنَّما هي جزء من

فرنسا.. وهذه أهمّ نقطة يشار إليها في سياسة نابليون الثالث أنّه وجه كل جهوده من أجل "الجزائر الفرنسيّة" وكان لذلك انعكاس سيئ على التعليم الإسلاميّ حيث ضيق الخناق عليه بل خلع تماما من بين أيدي أبنائه القائمين فيه ليصبح في أيدي الوزارة الحربيَّة الفرنسيّة، فأصبحت هي المسؤولة على تسيير شئونه.

ومن جملة الأساليب القاضيَة على التعليم الإسلاميّ التي برزت أثناء فترة الحاكم نابليون الثالث" التبشير المسيحي"، وقد اقتضت هذه الخطّة الجديدة تكوين بيئة خاصّة وزعت على إثرها المسؤوليَّة حيث تولّى البعض منهم مهمّة المؤسّسات الصحيَّة والبعض الآخر اهتمّ بالمؤسسات التعليميَّة فقد تمّ توغلهم داخل المدارس بصفة الصديق الوفي، وأخذوا يجذبون أبناء المسلمين إليهم بشتّى أساليب الإغراء مستغلين الظروف القاسيَة التي كانت تمرّ بها البلاد من مجاعة وأمراض معدية.

وكانت المرأة الجزائريّة المسلمة العنصر الرئيسي الذي وجهوا إليه جلّ طاقاتهم إلى أن تمكّنوا منها، فكانت حينئذ هي الخسارة الكبرى التي ابتلي بها التعليم الإسلاميّ حين أخذ يفرّ منه " نصف مجتمعه" و" صانع أجياله".

المبحث الثالث

أساليب فرنسا في القضاء على التعليم الإسلاميّ

خلاصة المبحث

أهمّ ما يستخلص من هذا المبحث بالنسبة للتعليم الإسلاميّ ومؤسّساته في ظلّ الاحتلال الفرنسيّ أنّ أوّل ما قامت به فرنسا الاستعماريّة بعد تثبيت أركانها في الأراضي الجزائريّة هو شنّ هجوم عنيف على مؤسّسات التعليم الموجودة آنذاك، فاعتدت على المدارس وأغلقت معظمها كما استولت على عدد منها فجعلت منه مكانا يخدم مصالحها، من ثكنات عسكريّة ناشرة الموت والدمار وفنادق ومستودعات.. وقد أحرقت جلّ مكتباتها واعتقلت طلبة العلم وأعضاء التدريس!

ولم تسلم المساجد، من طغيانها، فاستولت على أجملها وهدمت ما هدمت منها وانتهكت حرمتها..والأمر لم يختلف كثيراً بالنسبة للزوايا، فقد قامت فرنسا النازيّة بالقضاء على العديد منها واعتقال أصحابها ونتج عن ذلك قيام سلسلة من الثورات تمكّنت من غرس الرعب والقلق في نفوس المعمّرين، وكانت هذه الزوايا كغيرها من المؤسّسات التعليميّة مصدراً للعلم والمعرفة.

المبحث الثالث

أساليب فرنسا في القضاء على التعليم الإسلاميّ

خلاصة المبحث

أهمّ ما يستخلص من هذا المبحث بالنسبة للتعليم الإسلاميّ ومؤسّساته في ظلّ الاحتلال الفرنسيّ أنّ أوّل ما قامت به فرنسا الاستعماريّة بعد تثبيت أركانها في الأراضي الجزائريّة هو شنّ هجوم عنيف على مؤسّسات التعليم الموجودة آنذاك، فاعتدت على المدارس وأغلقت معظمها كما استولت على عدد منها فجعلت منه مكانا يخدم مصالحها، من ثكنات عسكريّة ناشرة الموت والدمار وفنادق ومستودعات.. وقد أحرقت جلّ مكتباتها واعتقلت طلبة العلم وأعضاء التدريس!

ولم تسلم المساجد، من طغيانها، فاستولت على أجملها وهدمت ما هدمت منها وانتهكت حرمتها..والأمر لم يختلف كثيراً بالنسبة للزوايا، فقد قامت فرنسا النازيّة بالقضاء على العديد منها واعتقال أصحابها ونتج عن ذلك قيام سلسلة من الثورات تمكّنت من غرس الرعب والقلق في نفوس المعمّرين، وكانت هذه الزوايا كغيرها من المؤسّسات التعليميّة مصدراً للعلم والمعرفة.

ومن الزوايا ما أصبح تحت التأثير الاستعماريّ، في خدمة العدوّ المحتل، فازدادت توسّعا وكثرت فروعها عبر الوطن، تصل إليها تشجيعات ماديَّة من العدوّ.

أمّا الكتاتيب فهي تعتبر، في الحقيقة، المؤسّسة الإسلاميّة الوحيدة التي تمكّنت فعلا من النجاة من أيدي الاستعمار لأنّه لم يتعدّ عليها مباشرة وإنّما حدّد نوعيَّة التعليم فيها وفق أهداف معينة، ووضع شروطاً قاسيَة لأصحابها، نجم عن ذلك فقر في الوسائل الماديَّة وفي الأعضاء القائمين عليها.

المبحث الرابع

دور التعليم الإسلاميّ في تحرير الجزائر

أ ـــ التعليم الإسلاميّ في مطلع القرن العشرين:

لقد أمتاز مطلع القرن العشرين بطابع سياسيّ جديد على يد والي ولايَة الجزائر من جهة وظهور تيّارات خارجيَّة من جهة أخرى كان لها الأثر البالغ على التعليم الإسلاميّ.

1 ـــ "جونار" والسياسة الجديدة:

إنّه "جونار" الفرنسيّ (1853 - 1913م) والي ولايَة الجزائر وهو يمتاز بسياسة أهليَّة واضحة تهدف إلى جلب المثقفين الجزائريّين إلى فرنسا من

جهة وجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا الحضاريَّة وسط الأهالي من جهة أخرى.

وكان جونار قد اختار هذه السياسة بعد سلسلة الأحداث التي عرفتها الجزائر في الداخل أخصّ بالذكر تحرك مجموعة من علماء قسنطينة سنة 1891م مطالبين حكومة الاحتلال بالنظر في شؤون البلد الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والتعليميَّة إذ طالبوها برفع القيود عن التعليم الإسلاميّ كما طالبوها بالنظر في القرارات المتعلّقة بالشعائر الدينيَّة ومنح حريَّة المواطن في ممارسة عاداته وتقاليده الجزائريّة النابعة من العروبة والإسلام.

ومن بين الذين وقعوا على هذه العريضة الشيخ: عبد الكريم "باش تارزي" مفتي المذهب الحنفي و"الطيب بن أودافيل" مفتي المذهب المالكي والشريف بن باديس قاضي مدينة قسنطينة ومحمود بن الشاذلي مدير مدرسة الكتانيَّة ... ثمّ أنَّ الأحداث الخارجيَّة ليست بأقلّ تأثير من الداخليَّة بل لقد أحدثت تغيّراً كبيراً في حياة الأهالي، أذكر على سبيل المثال زيارة الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني، والنهج الذي اتبعاه هذان العالمان من السياسة الاستعماريَّة البريطانيَّة التي حاولت استمالة الشيخ محمد عبده إليها فعرضت عليه زيارة الجزائر- الفرنسيّة ولكنّ الشيخ استبشر لهذه الزيادة لما رآه من التواصل مع أشقّائه.

ب- جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين: اتّفقت الجماعة التي كانت تتردّد على نادي الترقّي على تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين فبرزت إلى الوجود في شهر ماي سنة 1931م وهي تضمّ كوكبة من الرجال الراسخين في العلوم الإسلاميّة منهم[24]:

- الشيخ عبد الحميد بن باديس
- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
- الشيخ العربي التبسي
- الشيخ مبارك الميلي

ثمّ تعيّن الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيساً بالإجماع وهو غائب، أمَّا شعار الجمعيَّة فهو كما أعلن عنه رئيسها:

الإسلام ديننا والعربيَّة لغتنا والجزائر وطننا:

مبادئ جمعيَّة العلماء: لقد كثر رجال الإصلاح قبل ابن باديس وفي زمانه أمثال جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا ومحمد عبده فمنهم من كان يميل إلى إعطاء الأوليَّة للإصلاح السياسي قبل كلّ شيء مثل الأفغاني ومنهم من كان يحبذ مكافحة الاستعمار أوّلا بواسطة التعليم الإسلاميّ

---

[24] ـــ تركي رابح – الشيخ ابن باديس فلسفته وجهوده في التربيَّة والتعليم ص 174.

الذي هو أنجع خطّة في إنهاض الشعوب الإسلاميّة من كبوتها كما يحرص المسلمين على بناء المساجد والمدارس وتكوين الأساتذة الأكفاء.

وكان ابن باديس من النوع الثاني فاتّصل بالشيخ محمد عبده فزودّه بالنصائح الثمينة.

ومن أهم مقاصد تعليم جمعيَّة العلماء:

1- الرجوع إلى الاعتقاد الصحيح السلفي وبالتالي محاربة البدع والطرقيَّة والخرافات.

2- تعليم الصغار واكتساب المسلم تعليما عربيًّا إسلامياً.

3- السعي في سبيل وحدة عربيَّة إسلاميَّة والعمل على إقامة حقوق الإنسان بهذه الأرض المضطهدة[25].

خلاصة المبحث

لقد كان لحلول القرن العشرين أهميَّة كبيرة بالنسبة للتعليم الإسلاميّ، إنَّها فترة تاريخيَّة تمتاز بطابع سياسيٍّ من النوع الآخر، فهو يستهدف بالدرجة الأولى طبقة المثقّفين الجزائريّين، بغيَة جلبها نحو فرنسا بصفة

---

[25] ـــ التعليم الإسلاميّ في ظل الاحتلال الفرنسيّ من سنة 1830إلى سنة 1962 رسالة ماجستير في التربيَّة الإسلاميّة إعداد د.نصيرة زميرلين، بمكة المكرمة.

خاصّة وأوربا بصفة عامّة فهي خطّة رسمها لنفسه "جو نار" الوالي العام في الجزائر المحتلّة.

كانت الأساليب المستخدمة تتمثّل في ترجمة التراث الجزائريّ العتيق إلى اللغة الفرنسيّة بأمر من الوالي العام، كما افتتح المجال أمام مجموعة من الصحف العربيَّة الإسلاميّة لدخول الأراضي الجزائريّة والتي عادت بالخير على التعليم الإسلاميّ حيث كانت بمثابة "مدرسة متنقّلة" تبثّ الفكر الإسلاميّ والعلوم النافعة بأنواعها من خلال صفحاتها الغراء.

فقد أدّت سياسة "جو نار" إلى ظهور نوع من الصراع على الساحة الثقافيَّة، إذ طبعت التفاؤل والاطمئنان على التعليم الإسلاميّ من جهة ثانية ساعدت على ظهور أوّل محاولة من نوعها في سياسة الاحتلال ومن "تعليم اللغة الفرنسيّة بالعربيَّة"، وهي خطة رهيبة تهدف إلى إخلاء الأماكن القليلة التي بقي يحتلها التعليم الإسلاميّ ليحلّ محلّها التعليم الفرنسيّ باسم الرقيّ والتقدّم المزعوم، وقد نجم عن ذلك ظهور طبقة من المثقّفين موالين لحكومة الاحتلال سبق ذكر أنموذج من هؤلاء.

وقد صادفت هذه الفترة التاريخيَّة ظهور تيّارات خارجيَّة كان لها الأثر الكبير على التعليم الإسلاميّ منها التيّار الماديّ الذي نشر الفقر والحرمان والثاني تيّار شيوعي الذي ظهر متحدّيا جميع الأديان.

أمّا التيّارات الأخرى فهي المتمثّلة في عودة بعض رجال العلم الجزائريّين من المشرق العربيّ مسلّحين بسلاح العلم والمعرفة متحلّين بالتربيّة الإسلاميّة، ونجم عن ذلك تحرّك فعّال لبعض العلماء من أجل التوحيد ضمن "نادي الترقّي".

الخلاصة

إنّ الله ﷻ قيّض للشعب الجزائريّ نخبة من الرجال الشجعان، المتشبّعين بروح الإسلام وخصلة التفاني في سبيل الدفاع عن حوزة الإسلام والعقيدة الربانيّة سالكين في ذلك منهج الشيخ "محمد عبده" الذي ربّى تلاميذه على القرآن الكريم من أجل رجال قرآنيّي الفكر والسلوك واللسان..

فهذه هي"جمعيّة العلماء الجزائريّين المسلمين" والتي أصبح "التعليم الإسلاميّ" ملتصقاً باسمها وتاريخها والطوارئ التي مرّت بها وهكذا تبّين من خلال عرض المراحل التي مرّ بها التعليم الإسلاميّ في عهد "جمعيّة العلماء" وقد قسمت هذه المراحل تاريخياً إلى ثلاث مراحل:

1- المرحلة الأولى:

من أهمّ ما يشار إليه في هذه المرحلة هو قيام جماعة المثقّفين متصدّين لجهود "جمعة العلماء" وضدّ نشاطاتها وتحقيق أهدافها، وهؤلاء هم دعاة

التجنيس بالجنسيَّة الفرنسيّة من جهة ومن جهة أخرى دعاة الاندماج الكامل، ونجم عن ذلك اعتداءات متكرّرة على مؤسّسات التعليم الإسلاميّ التابعة لجمعيَّة العلماء وبعض أنصارها، فما كان على أعضاء "جمعيَّة العلماء" إلاَّ الصبر والمثابرة تحت قيادة الشيخ "ابن باديس".

2- المرحلة الثانيَّة:

وقد شهدت هذه المرحلة اندلاع الحرب العالميَّة الثانيَّة ووقوف"جمعيَّة العلماء" ضدّ فرنسا في حربها مع الحلفاء. ومن أهمّ عواقبها استقالة أحد كبار عناصر الجمعيَّة ونفي الرجل الثاني بجمعيَّة العلماء. أمَّا الخسارة الكبيرة التي ابتلي بها التعليم الإسلاميّ من خلال "جمعيَّة العلماء" فهي تتمثّل في وفاة الشيخ الجليل رئيس جمعيَّة العلماء: عبد الحميد ابن باديس، قائد النهضة الإسلاميّة بالجزائر.

3- المرحلة الثالثة:

وهي توافق خروج الشيخ الإبراهيمي من المنفى وشروعه في العمل الجاد، كرئيس لجمعيَّة العلماء الذي تمّ انتخابه وهو بالمنفى. وقد شهدت هذه الفترة ظهور عدد كبير من مدارس التعليم الإسلاميّ واتساع نطاق التعليم على مستوى القطر الجزائريّ، فكانت علامة حياة وتفاؤل بالنسبة للتعليم الإسلاميّ إلى أن وقعت حادثة 1945م تلك المذبحة التي ذهب

ضحيّتها عدد كبير من الأساتذة وطلبة العلم، تلاميذ الابتدائي على وجه الخصوص حقدا وكرها.

وقد أعتقل الكثير من خيرة أبناء الوطن منهم الشيخ الإبراهيمي، فكادت أن تكون كارثة كبرى بل "القاضيَّة" بالنسبة للتعليم الإسلاميّ لولا إطلاق سراح علماء الجمعيَّة وعودة الإبراهيمي إلى الميدان، فقام بأعمال لا تحصى في مواصلة نضاله من أجل التعليم الإسلاميّ، فكانت بمثابة حرب ضدّ التعليم الرسمي الفرنسيّ.

ويعتبر التعليم الرسميّ بالجزائر في ذلك العهد هو التعليم الفرنسيّ بمناهجه وأسسه وتنظيماته ومحتوياته وأهدافه.

وقد كان موزّعا ضمن مراحل دراسيَّة ثلاث تعنى بالدرجة الأولى أبناء فرنسا الاستعماريَّة والجالية الأوروبيَّة وعددا قليلا محدوداً من المقاعد للجزائريّين، خاصّة منهم أبناء الأثرياء وكبار التجار...

أهم ما نستخلصه عن "الصحافة" أنّها كانت سلاحا حاداً في مواجهة الغزو الفرنسيّ. فهي بحقّ مدرسة متنقّلة إلى الفرد الجزائريّ حيثما وجد، حيث أساتذتها هم كبار العلماء والشيوخ وقد روعي أن تشتمل مناهجها على العلوم اللغويَّة والشرعيَّة والعلوم الطبيعيَّة وبعض العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب، وقد كانت التربيَّة الإسلاميّة هي الخط الذي رسمت وفقه برامج التعليم ومناهجه.

وهذا النوع من الصحافة جلّها تابع لجمعيَّة العلماء الجزائريّين المسلمين أمَّا عن بقيَّة الصحف الوطنيَّة فقد قسمتها إلى قسمين، قسم منها حاول التصدّي لفرنسا المحتلة عن طريق التوعيَة والدعوة إلى اليقظة من أجل استرجاع الحقوق المفقودة، وقسم آخر موال لحكومة الاحتلال.

ولقد ساهمت حركة التأليف من خلال عرضها لواقع وتاريخ الجزائر المسلمة في تأكيد حقيقة انتمائها الإسلاميّ كما أنَّها عملت على تنميَة الوعي الاجتماعيّ، وهذا بالإضافة إلى توجيه الاهتمام نحو أهميَّة وضرورة الالتزام بمسارات الفكر الإسلاميّ.

أمّا المسرح الجزائريّ: فقد حاول هذا الأخير أن يكون من ظهوره وسيلة يعبّر من خلالها أفراد الشعب عن معانات الأمَّة الجزائريّة في شتّى الميادين ومنها ميدان التعليم، حيث حاول المسرح إبراز الجوانب الحساسة من الحياة التعليميَّة في الجزائر، أهمّها عنايَة المستعمر بلغته وإهمال اللغة العربيَّة، فقد ظهرت على خشبة المسرح الجزائريّ محاولات قيّمة تدعوا إلى التمسك بشعائر الدين الحنيف وتعلّم العلم النافع في إطار إسلاميّ مميّز حتَّى وإن كان هذا العلم يمثل اللغة الفرنسيّة في حدّ ذاتها، اعتبارها لغة أجنبيَّة مثل سائر اللغات الأجنبيَّة الأخرى.

وفيما يخص الروايَة الجزائريّة: فقد امتازت معظمها بالطابع الوطنيّ، القوميّ وإن كانت جميعها باللغة الفرنسيّة، هناك محاولات قليلة جداً من هؤلاء الأدباء لصالح التعليم الإسلاميّ من خلال لفت الأنظار بداخل وخارج الوطن نحو الأوضاع السيئة والخطيرة التي يحياها هذا الشعب في جميع الميادين.

ولاتحاد الطلبة الجزائريّين موقف فعال اتجاه التعليم الإسلاميّ، يتّسم بالروح التضامنيَّة والنشاط الجاد سواء في داخل الوطن أو في المهجر، فبعد انسلاخ الطلبة الجزائريّين عن "اتحاد الطلبة الفرنسيّين بالجزائر" أصبحت لهم عزّة وكرامة وكلمة تسمع يخشاها الأعداء. فقد شارك هؤلاء عدّة مؤتمرات، جمعيّات وندوات من أجل التعريف بثورة التحرير وأهافها وبما أنَّ التعليم الإسلاميّ يهدف إلى ترجمة الفكر في صورة وسلوكيات عمليَّة واقعيَّة لذلك فقد كان لهذه النشاطات الفكريَّة والعمليَّة للطلبة الجزائريّين دور بارز في دعم التعليم الإسلاميّ.

وقد جاءت ثورة التحرير لتخرج ابن الجزائر من الجهل والظلم والظلام إلى حياة ينعم فيها بالكرامة والحريَّة في ظل الجزائر العربيَّة المسلمة.

وأهم ما قدمت حرب التحرير للتعليم الإسلاميّ بصفة مباشرة وغير مباشرة حين اشتعلت في وجه الأعداء؛ أنّها فصلت بين الجزائريّ المسلم المخلص والجزائريّ "المفرنس"، الموالي لحكومة الاحتلال المعروفين لدى الوسط الجزائريّ العامي ببني "وي- وي" (أي "نعم-نعم").

إنّها وضعت أبناء الأمّة كلهم أمام الاختيار الواحد: "إمّا الانضمام إلى الثورة من أجل استعادة الجزائر بعروبتها وإسلامها أو الانحياز إلى العدو".

إنّها وحدت بين أبناء الأمّة بدون اعتبارات، لا عربي ولا بربري كلهم كالجسد الواحد تحت رايّة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ﷺ.

توحيد صفوف الطلبة بالقطر الجزائريّ وخارجه والتضامن الفعال من أجل استرجاع جزائر الأمس، أي قبل الاحتلال الفرنسيّ، والتي كانت تنعم بانتشار العلم والمعرفة في إطار إسلاميّ أصيل.

المرأة الجزائريّة المسلمة التي حلم الاستعمار بضياعها قد تنبّهت إلى حقيقة انتمائها إلى هذا الوطن الأبيّ وحقيقة أصالتها العربيَّة الإسلاميّة فتحمّلت المرأة حينئذ المسؤوليَّة وانقلبت ضدّ العدوّ القاهر.

وأخيرا تحقيق الأمل باسترجاع الجزائر أرض "المليون ونصف" شهيد، فخرجت حينئذ منهكة القوى ولكن بتطلعات وآمال أكبر نحو البناء والتشييد في جميع الميادين.